يا برد الشتاء رفقاً بالأسرى

الناس وأينما تواجدوا في المناطق الساحلية أم القطبية، أو الاستوائية و شبه الاستوائية يستمتعون بفصول السنة الأربعة، أو بالحد الأدنى بإحداها، ويتكيفون معها، ولديهم القدرة الذاتية أو بالاستعانة بعوامل مساعدة للتغلب على آثارها وتجنب تأثيراتها وأضرارها، و الوقاية أو العلاج من الأمراض المصاحبة لها والناتجة عنها.

فيما ستة آلاف وخمسمئة فلسطيني يقبعون في سجون الاحتلال الإسرائيلي لا يستمتعون بأيٍ من تلك الفصول، ولا يشعرون سوى بمرارة آثارها وتبعاتها الضارة وقسوة ما يصاحبها من أمراض، ومعاناتهم لم تنحصر في واحد من تلك الفصول، وإنما هي مستمرة طيلة فصول السنة، لكنها تزداد قسوة في فصل الشتاء، وتشتد ألماً مع برد كانون الذي يتسرب لأجسادهم وينخر عظامهم دون مقاومة، وتزداد معاناة وهم يستقبلون المنخفض الجوي هذه الأيام. فتتفاقم مأساتهم، وتزداد أوضاعهم الصحية تعقيداً.

في الشتاء: أمطار غزيرة ورياح عاصفة، وبرد قارس، وظروف احتجاز هي الأسوأ في سجون ومعتقلات إسرائيلية أينما تقع، في شمال البلاد و أواسطها، أو في جنوبها في صحراء النقب، في غرف السجون الإسمنتية التي لا تدخلها الشمس ونسبة البرودة والرطوبة فيها مرتفعة، أو في الخيام الممزقة والتالفة التي تتسرب لداخلها مياه الأمطار عبر الثقوب المنتشرة فيها أو من أسفلها، في ظل البرد القارس وسوء التغذية، وفقدان وسائل التدفئة، ونقص الأغطية و الملابس الشتوية.

وأمراض كثيرة تظهر في فصل الشتاء ومع شدة برد كانون، دون أن تجد ما يمنعها من الانتشار أو الاستفحال، فيزداد ألمهم ألما، وتزداد معاناتهم معاناة، وتتردى أحوالهم الصحية. فتتحول الأمراض البسيطة والعرضية الى مزمنة ومستعصية يصعب علاجها لاحقا. فيما تتفاقم المعاناة لدى الأسرى المرضى أضعاف المرات.

وكالعادة، وبالرغم من تحذيرات الأرصاد الجوية فان إدارة السجون لم تتخذ الإجراءات اللازمة

لحمايتهم، ولم توفر لهم ما يمكن أن يقيهم برد الشتاء القارس ومطره الغزير وعواصف صحراء النقب، بل تضع العراقيل أمام إدخال ما ينقصهم من أغطية وملابس شتوية، وما يمكن ان يسد بعض احتياجاتهم ويساعدهم في مواجهة ظروف الشتاء عن طريق الأهل والمؤسسات الحقوقية. وبالمقابل تتخذ إجراءات ملموسة وواضحة لحماية جنودها وأفراد شرطتها العاملين في تلك السجون والمعتقلات، مما يعكس حجم استهتارها بحياة الأسرى الفلسطينيين.

لم تكتفِ بذلك، بل تتعمد أحياناً للجوء الى اتخاذ اجراءات متعمدة وخطوات استفزازية للتضييق أكثر على الأسرى ومفاقمة معاناتهم في فصل الشتاء وإلحاق الأذى الجسدي والنفسي والمعنوي بهم. بعكس ما يتوجب عليها فعله وفقاً لما تنص عليه كافة المواثيق والأعراف الدولية ذات العلاقة بالأسرى والتي تُلزم الدولة الحاجز بتوفير كل ما يلزم لحماية الأسرى من خطر الموت أو الإصابة بالأمراض.

وكثيرة هي الرسائل التي تصلتني من الأسرى وتتضمن شرحاً مفصلاً عن أوضاعهم، وعديدة هي التقارير التي اطلعت عليها عقب زيارات المحامين للسجون والالتقاء بالأسرى والاستماع لمعاناتهم في فصل الشتاء. فالمعاناة يصعب وصفها حتى لمن عاش فصول من الشتاء في سنوات سابقة داخل السجون والمعتقلات الإسرائيلية. فأجسادهم وأطرافهم لم تعد تحتمل البرودة، وأن خيام النقب كادت أن تُقتلع هذه الأيام من شدة الرياح وعواصف الصحراء.

شتاء قاسي وثقيل، وبرد مؤلم ومنخفض جوي عميق آتٍ، دون وقاية أو حماية. وجهود متواضعة لنصرتهم. وصمت دولي فاضح. والأسرى يدفعون ثمن ذلك من صحتهم، ومن حياتهم وسنوات اعمارهم. فيا برد الشتاء رفقاً بالأسرى.